http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1561) السنة السادسة - الثلاثاء (21) تموز 2009

حدائق بغـــداد... (١ - ٢)

تهتم الدول المتحضرة بالحدائق العامة كونها تضفي مظهراً جمالياً يشي بالنوع الثقافي والإجتماعي لتلك الدول . ولا شك أن تصميم الحدائق بات علماً من العلوم الجمالية التي استقطبت المعماريين والمهندسين والباحثين والفنانين بمختلف اتجاهاتهم المدرسية ؛ فالحديقة صنو الجمال والتحضر في نهاية الأمر.. ولا شك أن الحديقة العراقية عانت من غياب تقاليد كثيرة على مر عصورها ؛ جمالياً وعلمياً ؛ ولم تترك أثراً كبيراً في الذاكرة الهندسية سوى واحدة عُدت من عجائب العالم القديمة وهي حدائق بابل التاريخية . وفي هذا الملف ننير شيئاً من هذه الموضوعة التي تجاهلتها أمانة العاصمة في كثير من انشطتها عبر محورين ، الأول المحور الميداني الذي نلقي عليه الضوء في تحقيقين ، والثاني المحور النظري الذي ننشره غداً ...

واجهة احدى الحدائق

نخيل وشجيرات ومساحة خضراء

حديقة غازي .. حديقة الأمة .. بحيرة البط ..

اندثار العصر الذهبي لحدائق بغداد بغياب التخطيط العلمي

وائل نعمة

منطقة ساحة التحرير في الباب الشرقي قلب العاصمة العراقية تمر من خلالها عشرات الآلاف من السيارات يوميا منتقلة من جانب الرصافة الى جانب الكرخ عبر جسر الجمهورية او الذهاب الى ساحة الخلاني ، ويمر من المشاة ضعف اعداد السيارات يوميا متنقلين بين شارع السعدون وسوق الباب الشرقي آخذين قسطا من الراحة عند حديقة الامة .

ذكريات عن الحديقة

يروي صاحب مقهى شعبي في احد ازقة البتاوين ذكريات البغداديين عن ماضي هذه الحديقة، التي كانت تسمى بحديقة غازي، قائلا: كانت الحديقة تشبه بساطا أخضر جميلا، وكانت العائلات العراقية لا تفارقها حتى ساعة متأخرة من الليل. وبعد قيام ثورة تموز عام ١٩٥٨ تحولت إلى حديقة الأمة واستحدثت فيها النافورات وألعاب الأطفال إضافة إلى بحيرة اصطناعية سميت(بحيرة البط). لكن حالها قد تبدلت منذ ثمانينيات القرن الماضي ، عندما هجرتها العوائل وتحولت هذه الحديقة إلى مأوى للمشردين ومتعاطي المخدرات بين ليلة وضحاها .

اعتراضات ولكن

واجه مشروع تغيير الهيئة التأريخية للحديقة ، اعتراضات جدّية ووصف المعارضون المشروع بأنه لا يراعي مكانة الحديقة التاريخية في الذاكرة العراقية ولا يأبه بالقيمة الفنية والجمالية للنصب والتماثيل التي شيدت في فترة ازدهار الفن العراقي قبل نحو نصف قرن.

ووصف احد المصورين الذين يقفون عند مدخل الحديقة لتصوير قاصدي هذه الحديقة، وليد كرم ،فترة خمسينيات وستينيات القرن الماضي بأنها الفترة الذهبية التي استطاع الفنانون الراحلون خلالها صنع هذه الرموز الفنية المهمة التي زينت مدخل الحديقة ، التي تمارس الأمانة حالياً عملية قد تضر بقيمة هذه الاعمال التي وضع فيها المبدعون عصارة جهدهم من خلال إقامة هذه المنشآت الحديثة ،على حد وصفه.

استراحة عمل

الحديقة الآن اصبحت متنفسا للماريين خصوصا في منطقة مزدحمة بالسيارات كمنطقة الباب الشرقي، واصبحت جميلة بعد ان قامت امانة العاصمة باعادة الحياة اليها ووضع التماثيل الجميلة و(المصاطب) والاعتناء بزرع الحديقة ونشر الورود بين جوانبها فأصبحت مسرة للناظر . يقول (محمد) احد البائعين في سوق الباب الشرقي (صاحب بسطة) اصبحت الحديقة ملاذا لنا خصوصا وقت الظهيرة ، حيث نأتي لنتفيأ بظلال اشجارها لتناول غدائنا والتمتع بشيء من الراحة .

كما تنتشر دوريات الشرطة ومفارز شرطة المرور حول هذه الحديقة معطية للمواطن نوعا من الطمأنينة والارتياح . يقول احد رجال الشرطة المتواجدين بأنهم يقفون ليل نهار هنا امام حديقة الامة لانه مكان حيوي ووسط العاصمة ويشهد مرور الكثير من الناس والسيارات ونقوم بواجبنا وهو حماية المارة والسيارات ومنع حدوث أية مشاكل في الحديقة لانها مكان عام .

الطابع الثقافي للحديقة

من المظاهر التي تشير الى نشاط هذه الحديقة ومشاركتها في اعادة الحياة للعاصمة بغداد إنشاء امانة بغداد مبنى كبيرا سمي بـ (منتدى بغداد الثقافي) وحدثنا مدير المنتدى الاستاذ محمد الخطاط قائلا : ان المنتدى هو احد الصروح الثقافية التي انشأتها امانة العاصمة وقد كان هذا المنتدى في السابق في منطقة الكاظمية ، وكان من رواده انذاك الدكتور علي الوردي والعلامة حسين علي محفوظ ، وجلال الحنفي وغيرهم ، وكان يسمى مجلس بغداد الادبي ، ثم انتقل المجلس الى حديقة الامة وسمي بمنتدى بغداد الثقافي ، والمنتدى معني باقامة النشاطات الثقافية الادبية والفنية ، كما اشار إلى ان المنتدى يتكون من قاعتين الاولى هي قاعة للمحاضرات والقراءات الشعرية والثانية للنشاطات التشكيلية . واضاف ان قاعة بغداد للفنون التشكيلية تشهد نشاطا فنيا متواصلا واقمنا في القاعة الثانية معرضا خاصا بكتاب المدى الذي أقامته مؤسسة المدى للثقافة والفنون والاعلام بمناسبة ذكرى ثورة ١٤ تموز . واشار إلى ان المنتدى قد افتتح في بداية هذا العام وكان أول نشاطات المنتدى معرضا شخصيا لرسام الكاركتير علي عاتب ، ثم توالت بعدها النشاطات الثقافية متوزعة بين المهرجانات والقراءات الشعرية وبين المعارض الفنية التي احتضنتها حديقة الامة .

تأهيل الحديقة

وتحدث لنا المهندس المسؤول عن الحديقة الاستاذ علي عفوان قائلا : ان العمل بدأ في حديقة الامة بإدامتها منتصف شهر تموز ٢٠٠٦ وكانت هذه الحملة الاولى ، ثم تبعتها حملة اخرى في منتصف شهر كانون الاول من نفس السنة وهي الحملة الاكبر حيث صدر الايعاز من امانة بغداد بتأهيل حديقة الامة وما حولها اي ساحة الطيران وساحة التحرير وجدارية فائق حسن، واضاف ان جدار الحديقة صمم بناؤه من الطابوق (الجفقيم) وهو طابوق بغدادي كما تتخلل هذا الجدار كلمة بغداد التي خطت بطريقة دائرية على اعتبار ان بداية بناء بغداد في العصر العباسي كانت على شكل دائري .

وأوضح المهندس بأن الحديقة قد انشئت فيها شبكة ماء حديثة ومنظومة ري بالرش كما قمنا بحفر آبار ارتوازية لرفد منظومة الرش ، كما قامت الامانة باكساء ارضية الحديقة بالمقرنص الملون لكي يعطي جمالية للحديقة ، واشار المهندس المسؤول الى ان الحديقة في السابق كانت مهملة جدا فقمنا برفع الانقاض وتنظيفها وزرعناها بآلاف الشتلات والورود المختلفة وقمنا بادامة النافورات وتشغيلها ، كما وتوجد في الحديقة اربع بوابات دخول وخروج قد صممت على الطراز العباسي ، وتتضمن الحديقة مبنى للمحاضرات والقراءات الشعرية ومبنى للفنون التشكيلية . و كان في النية ان يكون في الحديقة مقاه ومطاعم ومقهى انترنيت ولكن الامانة أرتأت ان يغلب على الحديقة الطابع الثقافي والفني البغدادي ، كما ان لدينا نية فتح القاعة الاخرى المقابلة للمنتدى كمتحف للموروث الشعبي البغدادي وسيتم هذا عن قريب . واضاف بأن في الحديقة كادراً زراعياً متخصصاً يتكون من ١١ شخصا بالاضافة الى عمال النظافة التابعين الى امانة بغداد .

اعمال غير مسؤولة

وشكا المهندس المسؤول من الاعمال الا مسؤوله من قبل بعض المواطنين الذين يقومون بتخريب بعض الشتلات والورود ويقومون برمي النفايات في الحديقة بالرغم من ان الحديقة فيها عدد كبير من الاماكن المخصصة لرمي النفايات ، كما ان هناك بعض الاعمال غير اللائقة قد تحدث في بعض الاحيان في الحديقة نحن نمنع مثل هكذا تصرفات تسيئ للاداب العامة .

افتتاحية الحديقة

وعن افتتاحية الحديقة ذكر لنا المهندس المسؤول بأن افتتاح الحديقة تم في ٢٠٠٨\١٢\٢٥ بحضور امين بغداد وبعض الشخصيات الحكومية ، اما فيما يخص نفق الباب الشرقي ،فهو نفق مهم يربط بين جانبي ساحة التحرير ويمر في اكثر الاماكن صعوبة لمرور المشاة ، ولذلك فأن هذا النفق حيوي جدا ومهم لانه يوفر وقتاً للمارة ويحافظ على حياتهم كما يقلل الازدحامات ، ولكن هذا النفق بعد ان اهمل وترك مكانا آمناً للمتشردين والذين اتخذوه بيتا لهم قررت امانة بغداد اعادة هذا النفق وقامت بترميمه ووضع حجر المرمر وانشأت محال في داخله ، الا ان ماحدث بقاء النفق الى يومنا هذا على حاله والاسباب غير معروفة .

احد بائعي العصير على الرصيف المجاور للنفق وهو سعد محمود يتمنى ان يعاد افتتاح النفق لاهميته للمنطقة ، كما انه يرغب بالحصول على احد المحال في داخل النفق حتى يتخلص من وقوفه في الشارع وتعرضه احيانا لمضايقات الامانة وحملاتها لازالة التجاوزات على ارصفة الشارع ، بائع الشاي ابو كاظم يقول : نسمع شائعات بأن سبب تأخر افتتاح النفق يعود الى ان الامانة تريد ان تقوم بمزايدة على المحال التي بداخل النفق ولكن هذا لم يحدث الى الان ولذلك ظل النفق مغلقا .

نفق ساحة التحرير

قاسم سلمان عداي المشرف المسؤول عن متنزهات النفق قال ان النفق مغلق حتى اقامة المزاد على المحال التي بداخله كذلك فان الامانة اغلقته لاسباب امنية اي تخوفا من ان يستغل النفق لقيام ضعاف النفوس بعمليات ارهابية ، كما اغلقته الامانة حتى لايتشوه منظره إلى ان تستأجر المحال ويتم افتتاحه بشكل رسمي ، واضاف ان اعادة تأهيل النفق تزامنت مع اعادة تأهيل حديقة الامة اي في سنة ٢٠٠٦ ، وقد تم الانتهاء من تأهيله سنة ٢٠٠٨ ، واشار المسؤول على ان النفق يحتوي على حدائق جميلة على جانبيه النفق وقد زرعت فيها احلى الورود والاشجار ونحن نقوم بإدامة هذه الحدائق والاهتمام بها يوميا ، كما يحتوي النفق على اعداد كبيرة من المحال التجارية والتي يربو عددها على الستين محلا ، كما يحتوي النفق على مولدة كبيرة تقوم بأعمال الصرف الصحي للمجاري في النفق .

وقد اوضح لنا المسؤول عن النفق بأن بعض اصحاب البسطيات في منطقة سوق الباب الشرقي المجاورين للنفق يرمون نفايات عملهم في النفق ونحن دائما نقوم بتنظيف المكان ولكن نرجع في اليوم الثاني ونجد ان النفايات قد عادت من جديد وقد دخلنا في مشاكل كثيرة مع هؤلاء الباعة حتى ان حرس النفق اصبحوا مهددين من قبلهم لانهم يقفون ضد هذه التصرفات اللاأخلاقية .

اطفال في فسحة يومية..

متنزهات بغداد.. حكايات سمر حتى منتصف الليل

الكثير من مناطق بغداد استعادت رونقها وعافيتها وكورنيش الاعظمية احتضن متنزه "ابن الاخطل" الذي يضم مجموعة مختلفة من الالعاب ،فضلا عن احتوائه على حديقة حيوانات صغيرة، تضم في اقفاصها انواعا مختلفة من الطيور ،الارانب ، وهناك هيكل لناعور ماء بتشكيل جميل . المنظر برمته شكّل لوحة فنية رائعة ،اصبحت خلفية لصور العوائل الزائرة للمتنزه. وأضفت على المنظر رونقا آخر عربات القطار التي كانت تخترق المتنزه والتي كان يقودها شاب في العقد الثاني من عمره ،يسحبه بدراجة نارية، مقابل اجرة زهيدة تدفع له ،لأن القطار يسير خارج منطقة المتنزه ، اما بقية الالعاب فهي مجانية .

تقول نسرين وهي من سكنة المنطقة انها وعائلتها خرجت الى الكورنيش للتنزه والترويح عن النفس نظرا للتحسن الامني الذي شجع على عودة المحال التجارية والمطاعم الى العمل ،بعد ان اقفلت في السابق الكثير من محال الاعظمية ابوابها ، الان المحال والمارة يبقون حتى منتصف الليل في الشوارع للتسوق او لقضاء اوقات سمر وبالامكان السير وعائلتي بالمنطقة دون اي خوف .

بغداد / ايناس طارق

استرخاء

أما أبو إسراء الذي كان يحاول المحافظة على أطفاله على مدى بصره خوفا من ضياعهم بسبب الزحام في المتنزه ، فيقول انه وعائلته تنفسوا الصعداء بعد انشاء عدد من المتنزهات في مناطقهم مما ساعد ذلك على العزوف عن الذهاب الى متنزه الزوراء والذي يمكن ان يعتبر المتنزه الوحيد في العاصمة بغداد ،نظرا لشدة الزحام ،فضلا عن ارتفاع اسعار الالعاب هناك الامر الذي يرهق احيانا ميزانية العائلة .

واضاف ابو اسراء ان انشاء عدد من المتنزهات ساعد كثيرا على استرخاء الوضع النفسي للعوائل واولادهم فضلا عن اجتماع الجيران مع بعضهم والذهاب الى المتنزهات في اوقات واحدة ،وهذا دليل على لحمة العراقيين .

كورنيش الاعظمية

قاربت الساعة السابعة مساء ومازال الكورنيش يشهد قدوم الأسر البغدادية من مختلف مناطق بغداد لقضاء اوقات جميلة ،وسط نسمات هواء دجلة واصوات الاطفال وصراخهم وضحكاتهم وهم يلهون بالالعاب وتناول المثلجات ،الامر الذي جدد روح الامل والسلام والامان في نفوس الزوار.

يقول كامل من سكنة منطقة الكاظمية : في الفترة السابقة لم نستطع القدوم الى المنطقة لكن الان كل شي عاد كما في الماضي ،ونتأخر في العودة الى منازلنا لاننا نقصد المتنزه في ساعة متأخرة من الليل ، فالجو الحار يجعل خروجنا صعباً في اوقات مبكرة ،فضلا عن ان هبوب العواصف الترابية قلل من ارتيادنا المتنزهات البعيدة ومنها متنزه مدينة الزوراء وحقيقة الخدمات والالعاب في المتنزهات داخل المناطق والمحلات السكنية اصبحت افضل جمالا ورونقا من متنزه مدينة الزوراء والوضع الامني شجعنا على القدوم وقضاء اوقات ممتعة في كورنيش الاعظمية .

دولمة أم مروان

بدورها أبدت أم مروان سعادتها الغامرة بينما كانت تقلب في (صينية) قدر(الدولمة) الأكلة الأكثر شعبية بالعراق، وهي تجلس على احد مروج المتنزه الذي ضاق بزواره وقالت: منذ زمن طويل ونحن نفتقد هذه المتع الحياتية البسيطة التي عادت الان من جديد تبزغ على الواقع العراقي المتأخي المحب للوحدة والسلام ونبذ التفرقة والطائفية .واضافت ام مروان انها وعائلتها كانت معتادة على السفرات ايام العطل والاعياد الى بحيرة الحبانية ،الرزازة وتتمنى ان تعود الحياة افضل من السابق.

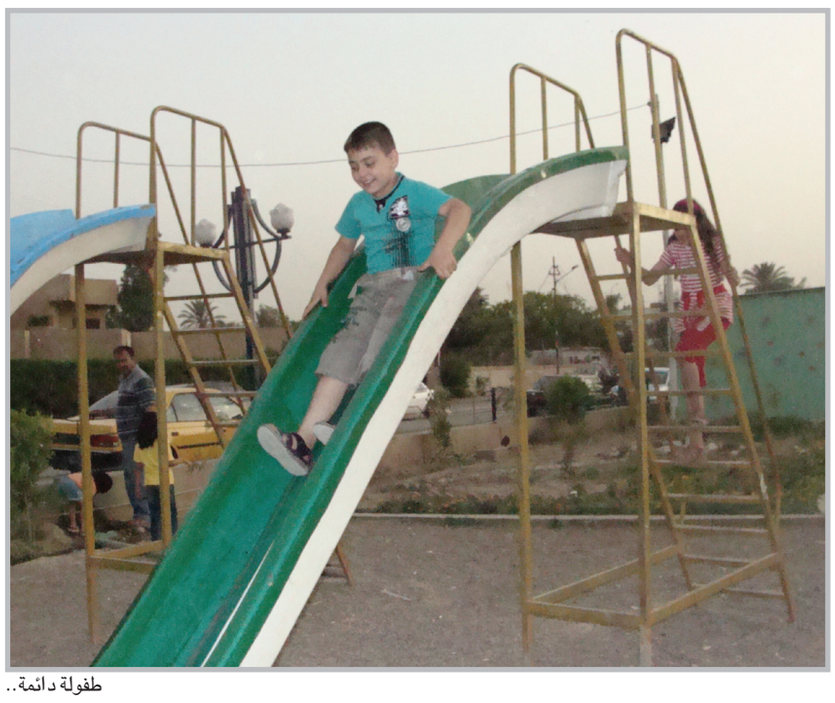
طفولة دائمة..

متنزهات اخرى

قامت بعض المجالس البلدية في عدة محلات سكنية بالتعاون مع امانة بغداد لإنشاء متنزهات على غالبية الساحات الترابية الفارغة في تلك المناطق ونصب الالعاب البلاستيكية ،والحديدية وكان ذلك امرا جيدا وتجربة نتمنى ان تعمم على كل الساحات الفارغة والتي مع الاسف تستغل من بعض المواطنين لرمي الانقاض او استغلالها بشكل. غير قانوني، يطل على نهر دجلة متنزه العطيفية الاول والذي يشغل مساحة شاسعة كانت سابقا مكباً للنفايات اما الان ،فالارض بساط اخضر،زين بمجموعة كبيرة من الالعاب المتطورة ،فضلا عن انشاء ملعب لمزاولة لعبة كرة القدم في جهة جانبية من المتنزه كذلك بنيت مصاطب من الاسمنت الملون لجلوس العوائل القادمة من مناطق ،الرحمانية ،الشالجية ،العطيفية الاولى ،الثانية فضلا عن قيام مجموعة من الشبان بتنظيف المتنزه،وانشاء مجمع تجاري صغير مرتب ومنظم لبيع العصائر والشكولاتة وبعض الحاجيات الاخرى لزوار المتنزه الذي يفتح ابوابه من الساعة الخامسة عصرا وحتى الثانية عشرة ليلا.

في المجلس البلدي

يقول ابو صلاح نائب رئيس المجلس البلدي حاولنا منذ عدة سنوات انشاء اكثر من متنزة في المنطقة ،المكتظة بالسكان ،ولم يقتصر الامر على انشاء هذا المتنزه بالعكس هناك مايقارب الاربعة تم انشاؤها بعد التعاون مع امانة بغداد أحدها يطل على الشارع الرئيسي الذي يربط العطيفية بمنطقة الشالجية والاخر في منطقة العطيفية الثانية والاخر قيد التنفيذ حاليا ويقع ضمن الرقعة الجغرافية الوسطى لمنطقة الاعظمية العطيفية تتخلل وسط المتنزه ساعة ارضية بنيت على تلة يتوسطها رسم لخارطة العراق .

يقول مرتضى حسين من سكنة منطقة العطيفية غالبا ما نصحب عوائلنا الى متنزه العطيفية الاولى في ساعات المساء لتناول وجبة العشاء في ظل نسمات هواء دجلة العليل وشموخ جسر الصرافية الذي كنا نشاهد صرحه يبنى يوما بعد يوم ولا اعتقد انه يوجد منظر اجمل من هذا...

اما سراب حسين طالبة جامعية فقالت: كلما اردنا الخروج نأتي الى المتنزه لانه يشتمل على عدة خدمات اهمها النظافة فضلا عن الاضواء الخافتة التي لفت جذوع الاشجار ليعكس نورها على دجلة الخير فلااعتقد ان من يجلس امام هذا المنظر لاياتي يوما لقضاء امتع واجمل الاوقات بصحبة عائلته ورؤية البسمة على وجوه الجميع اجمل تعبير بأن الحياة تستحق الافضل .

توقيع

الحدائـق..

وارد بدر السالم

لم يكن تصميم الحدائق العامة في يوم ما ترفاً اجتماعياً أو نخبوياً تهتم به فئة دون غيرها من فئات المجتمع . بل كان أحد مصادر الذوق والجمال والفن والإبداع أيضاً ؛ فعلى مر العصور كانت الحديقة توثيقاً جمالياً لحياة الشعوب وكانت مصدراً من مصادر الدراسات الفنية التي أنبأت عن تطور الذائقة الشعبية على مختلف تجلياتها الإنسانية والإجتماعية .

الحدائق صفة ملازمة للمجتمعات المتحضرة التي ترى في الجمال سلوكاً يومياً لا مفر من تبنيه والإحاطة بلغته الخاصة والوقوف عند جوهره . ولا تغير تلك المجتمعات احتضانها للطبيعة مهما تعاقبت عليها السياسات الجيلية وتغيرت مراحل المجتمع نحو آفاق أكثر شمولية في النظر الى الواقع الميداني وثقافته الفنية البَصَرية.

بهذا المفهوم تحافظ الشعوب على آثارها وطبيعتها وما تحققه من شواخص معمارية وجمالية ، بل تسعى دائماً وعبر تطور مفرداتها العلمية الى تكريس الجمال كقيمة عليا من قيم المجتمع ، يؤصّل الرصيد الأخلاقي والإجتماعي في مفاصلها اليومية ، وبالتالي يحقق رصيداً أعلى في حضارتها العامة .

في هذا الملف الذي ننشره في يومين متتاليين نسعى الى التنبيه الى ضرورة تبني الجمال من أبوابه الفسيحة والعريضة عبر بث الحياة في أنساغ الحدائق والمتنزهات العامة وإقامة صلة حضارية بينها وبين المجتمع من خلال إذكاء روح الجمال بمفهوماته الفنية والإبداعية والإجتماعية العامة ، وتقليص النظرة العابرة الى الحديقة بوصفها "مكاناً" اجتماعياً للنزهة والتفسح وإزجاء الأوقات ، هرباً من وتائر العمل أو مشاكل البيت ، نحو اطلاق مفهوم متحضر للحديقة بوصفها مكانا له صلة بالجمالي من أمزجتنا وتحضرنا ووعينا الاجتماعي والإنساني .

فالحدائق العراقية والمتنزهات العامة ، وهي قليلة، لم تحتفظ بتاريخ سياسي ولا فني ولا اجتماعي ، ولم تكن ميداناً صريحاً له لسن التاريخ ، لتعاقب أجيال عراقية عاشت تقلبات السياسة في مناخات كثيرة وتقلبات المجتمع في أزماته المختلفة ، بل ظلت أمكنة عابرة في الذاكرة لا تستحضر كثيراً كعلامات فارقة في مثل تلك التحولات شأنها شأن الشواهد الفنية كالنصب والتماثيل والمتاحف والآثار .

هذا اليوم نستطلع بعض حدائق بغداد ومتنزهاتها ، فإن كانت حديقة الأمة هي الأقدم مما نستعرضه اليوم ، فإن غيرها مما يرد من تسميات هو الأحدث تشكلاً في غياب التخطيط العلمي والهندسي وبالتالي الجمالي مما يجعل منها أمكنة عفوية لا علاقة لها بالتخطيط والإبداع والخيال والرؤية الجمالية .

على أن نستعرض يوم غد تاريخية الحدائق العالمية ودورها في تهيئة المجتمعات لإكتساب جرعات قوية من الجمال والتحضر ، وما أفرزه من قيم إبداعية وفنية ظلت على مديات بعيدة شاخصة من شواخص البناء الإنساني والجمالي وهو في أوائل تكويناته الميدانية .

نرى أيضاً أن الحدائق والمتنزهات العامة ، وهي تتشكل مع الأزمان ، أضحت ميداناً عالمياً للتنافس الفني والهندسي والمعماري والقيمي ، وهو ما يعني الأخذ المعرفي المتجدد من العلوم الجمالية بمختلف مدارسها واتجاهاتها .

حدائق بغداد التي تعاني من غياب التخطيط العلمي وتتكرس دائماً على أنها تبقى في الهامش من اهتمامات أمانة العاصمة هي موضوع ملفنا اليوم وغداً ...

waridbader@gmail.com